

الكتاب الثاني: "جدلية الجنون والإبداع" (1) (الحلقة الثامنة)



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2019/08/25

السنة الثانية عشرة - العدد: 4376

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

.....

.....

بداية واحدة وتميز صعب

في هذه المرحلة الأولى على وجه التحديد يكاد يكون من المحال التمييز اليقيني، أو حتى المرجح، للمسار الذي سوف تتجه إليه خطوات الحركة البادئة بالتحريك الدورى، لذلك فإنه يمكن أن يعد الشبه بين انبعاثات البدايات الأولى للعمليات (الإبداع والجنون) كما لو كان تطابقاً، بل إن واقع الأمر يكاد ينفي أن ثمة ظاهرتين يمكن التمييز بينهما في هذه المراحل الأولى. ومن ثمّ فليس مطروحاً ابتداءً أن نتحدث - في هذه المرحلة الأولى - عن تشابه أو اختلاف، وتأكيدنا للتطابق هنا لا يمتد إلى تشابه في المسار أو في النتائج. وللأسف، فإن الأبحاث السائدة في هذا المجال إنما تركز على ظاهر سلوك المبدع والمجنون في شخصية كل منهما، وطباعه وبعض أعراضه أو سلوكياته، وقد تتناول الناتج بنسبة أقل تواتراً. إن الجدلية المحتملة بين الإبداع والجنون يمكن أن نتعرف على طبيعتها إذا افترضنا أنه بعد بداية البداية يحدث جذب محتمل في اتجاهين متضادين، وتقل فرص الجدل كلما تبادى التميز وافترق مسار كلٍ إذ تتسع المسافة، فيحل محل العلاقة الجدلية علاقات تضاد أخرى. هنا يجدر بنا أن نميز بين الألفاظ التي سوف نستعملها في شرح أشكال التضاد المحتملة في العلاقة بين الإبداع والجنون، وهى ألفاظ: الإبداع، والنفى، والتناقض، ثم التناقض الجدلى، وسوف أحاول أن أحدد الفروق بحسب استعمالها لها هنا من خلال تحديد نوع العلاقة، ومدى المسافة، وتوجه الحركة بين كل طرف من أطراف القضية، والطرف الآخر.

ففى "الإبداع": يكون الضد نافراً عن ضده، ظاهراً على حسابه، متجهاً عكسه، بعيداً عنه، فيكون الجنون عكس الإبداع بحيث يجرى تبادى أحدهما على حساب الآخر.

وفى "النفى": يكون الضد مُبطلاً لضده، شالاً لفاعليته (=ماحياً أثره الظاهرى)، كما تكون المسافة بينهما ثابتة (مجمدة)، ويكون التوجه (لكل منهما) دائراً فى محله، وفى اتجاه عكس الآخر، مع الموقع (أو فى أى حركة مكافئة بلا دفع)، وقد لا يظهر على السطح أيهما، أو يلغى أحدهما الآخر نهائياً وهو يحل محله طول الوقت.

أما فى "التناقض" فيكون النقيض مواجهاً لنقيضه، ملازماً له، مناطحاً إياه، وقد يظهر ذلك فى شكل توقف تصارى، يتجلى فى التوتر المُشْبِلِّ، والتردد المزمّن، فضلاً عن احتمالات تفجرات متقطعة.

وفى التناقض الجدلى يكون النقيض مواجهاً لنقيضه أيضاً، لكنه يكون أيضاً متداخلاً فيه، حتى تكاد المسافة تختفى لتتجدد متخلقة باستمرار، كما يكون "التوجه" هو "محصلة" المواجهة إلى اتجاه يشملهما

إن الجدلية المحتملة بين الإبداع والجنون يمكن أن نتعرف على طبيعتها إذا افترضنا أنه بعد بداية البداية يحدث جذب محتمل فى اتجاهين متضادين، وتقل فرص الجدل كلما تبادى التميز وافترق مسار كلٍ إذ تتسع المسافة، فيحل محل العلاقة الجدلية علاقات تضاد أخرى

فى "الإبداع": يكون الضد نافراً عن ضده، ظاهراً على حسابه، متجهاً عكسه، بعيداً عنه، فيكون الجنون عكس الإبداع بحيث يجرى تبادى أحدهما على حساب الآخر

فى "النفى": يكون الضد مُبطلاً لضده، شالاً لفاعليته (=ماحياً أثره الظاهرى)، كما تكون المسافة بينهما ثابتة (مجمدة)، ويكون التوجه (لكل منهما) دائراً فى محله، وفى اتجاه عكس الآخر، مع الموقع (أو فى أى حركة مكافئة بلا دفع)

معا. وهذا ما يظهر فى شكل الإبداع سواء كان إبداع الذات نمواً، أم أى من أشكال الإبداع المعروفة.

على أن الإبداع يتشكل عمقا وأصاله بقدر عمق واعتمال الجدل.

الاحتمال الأكثر ندرة هو حين يحتوى الإبداع الجنون ويتمثله ليخرج به معه، ولا يحل محله، وهو ما

اسميه هنا: الإبداع الفائق.

أما الإبداع البديل عن الجنون فيظهر حين يتغلب الإبداع على الجنون فيظهر سلوكا مغلنا، ونتاجا محددا، فهو يفعل ذلك بإخفاء الجنون فى داخل الذات كامنا، ضاعطا فى الوقت نفسه، وكلما زاد تناثره تفرقا، زاد الإبداع الظاهر تماسكا، لكن هذا الإبداع البديل يظل على صلة غير مباشرة بحركية الجنون وتهديده.

وفى حالة ما إذا غلبت آليات التفكك حتى ظهر الجنون فإنه يكون شديد التفسخ حتى نقل فرص إعادة التشكيل - علاجاً فإبداعاً- وإن لم تختف (2).

يظل هذا النوع من الإبداع إبعادا ملحاً، وظاهراً، ونشطاً، بقدر ما يظل الجنون كامناً ومهدداً فى آن واحد. وهذا النوع من الإبداع هو الغالب فيما نسميه إبداعاً، وهو الذى يظهر فيما هو ناتج رمزى تشكيلى ملموس ومسجل، إنه ليس هو المستوى الأقصى من الإبداع الذى يحتوى الجنون جدلاً، وهو ليس الإبداع المسئول عن تغيير النوع على مسار التطور الحيوى. وهو بديل بمعنى أنه بديل الجنون إبعاداً، وفى الوقت نفسه هو بديل الإبداع الأقصى الذى سنسميه من الآن: "الإبداع الفائق" (أنظر: الملحق الأول بالكتاب الأول) (3).

إن أهمية تحديد هذا الإبداع البديل برغم قصوره عن الإبداع الفائق، هو أن نوضح دوره، وفى الوقت نفسه أن ننبه إلى نتائج الوقوف عنده، أو التماهى فيه على حساب ما هو إبداع أهم وأرقى.

فإذا رضينا أن نتقبله بديلاً عن الجنون فهذا حل وارد، يقابل زعم فرويد أن الحضارة هى التسامى عن الغرائز (وليس السمو بها)، أما إذا حل محل الإبداع الفائق طوال الوقت (بديلاً عنه أيضاً)، فأجهد نبض النمو الحيوى، فرداً فنوعاً، فلا مفر من مواجهة الاعتراف بأنه إبداع متواضع أو متوسط، وأيضاً هو قد يكون معطلاً لما هو أعمق وأرقى.

لابد من الاعتراف أيضاً بأنه لا يمكن الحسم بسهولة (أو حتى بصعوبة) إذا ما كان هذا الإبداع البديل هو بديل عن الجنون أم عن الإبداع الفائق، والأرجح - كما ذكرنا - أنه بديل عن الاثنين معا.

كما ننبه أيضاً أن الإبداع الفائق إنما يحمل كل إرغاب الجنون وملاحق تناثره.

ثم إن هذا الإبداع البديل عند ما يكون بديلاً عن نمو صاحبه (إبداع ذات المبدع) قد يمثل نوعاً من الإسقاط الذى يترك شخصية المبدع دون تغيير جوهرى بعد كل خبرة إبداع، وذلك لأن صاحبه - مرة أخرى- قد حظ حركية الإبداع فى الخارج، فحلت محل ذاته، فهو بإبداعه هذا لا يجادل جنونه، وإنما يستبعده، إذ يحل محله (محل جنونه) ثم إنه - بإبداعه البديل- يظل قادراً على تغطية تناثر الجنون القابع فى الداخل وقمعه.

المبدع هنا . فى الإبداع البديل . يستعمل لغة مفهومية ضابطة ومنضبطة بطريقة جميلة ومنسقة وهو يكاد يربح من توقفه عن الإبداع خشية أن يقفز البديل (الجنون)، حتى ليتمكن أن يسمى هذا الإبداع أحياناً بالإبداع القهرى: "إما أن تبعد أو تجن"، اللهم إلا إذا انطفاً زخم الحركة من خلال علاقة أخرى، هى النفسى، ففرط العادية أو إذا تطور إلى علاقة أرقى: التناقض فالجدل فالإبداع الفائق.

وقد تتبادل خبرة الإبداع البديل هذا مع نوبة جنون عند الشخص نفسه، ويظل احتمال التناوب قائماً ماظلت علاقة الإبدال هى العلاقة الغالبة.

فى " التناقض " فيكون
النقيض مواجهاً لنقيضه، ملازماً
له، مناطباً إياه، وقد يظهر
ذلك فى شكل توقف
تصارعى، يتجلى فى التوتر
المُشَلِّ، والتردد المزمّن

على أن الإبداع يتشكل عمقاً
وأصالة بقدر عمق واحتمال
الجدل

الاحتمال الأكثر ندرة هو حين
يحتوى الإبداع الجنون ويتمثله
ليخرج به معه، ولا يحل محله،
وهو ما اسميه هنا: الإبداع
الفائق

أما الإبداع البديل عن الجنون
فيظهر حين يتغلب الإبداع
على الجنون فيظهر سلوكاً
مغلناً، ونتاجاً محدداً،

هو يفعل ذلك بإخفاء الجنون
فى داخل الذات كامناً،
ضاعطاً فى الوقت نفسه،
وكلما زاد تناثره تفرقاً، زاد
الإبداع الظاهر تماسكاً

فى حالة ما إذا غلبت آليات
التفكك حتى ظهر الجنون
فإنه يكون شديد التفسخ حتى
تقل فرص إعادة التشكيل -
علاجاً فإبداعاً- وإن لم تختف

لابد من الاعتراف أيضاً بأنه
لا يمكن الحسم بسهولة (أو
حتى بصعوبة) إذا ما كان
هذا الإبداع البديل هو بديل
عن الجنون أم عن الإبداع
الفائق، والأرجح أنه بديل عن
الاثنتين معا

نَدَّبَهُ أيضاً أن الإبداع الفائق إنما يحمل كل إرغاب الجنون وملامح تناثره

ثم إن هذا الإبداع البديل عند ما يكون بديلاً عن نمو صاحبه (إبداع ذاته المبدع) قد يمثل نوعاً من الإسقاط الذي يترك شخصية المبدع دون تغيير جوهري بعد كل خبرة إبداع

مستويات الجدل

علاقة النفي، بحسب التعريف السابق، هي علاقة "تسوياتية" ساكنة وهي تعرض نفسها، أو تفرض نفسها، في المراحل الوسطى لتطویر العمليتين. حيث ينجح أي من الطرفين، بل كليهما، في أن يبطل مفعول الآخر نسبياً على الأقل، فيتجمدان في علاقة هامة نسبياً أيضاً، إذ تثبت المسافة بينهما، وتستدير الحركة في محلها، كل عكس الآخر، أو تتجمد بأى بديل مكافئ في أى اتجاه، فيصبح "البسط" unfolding المعطن خاملاً أو موقوفاً في المحل وهو لا يتجلى في سلوك ظاهر، فلا إبداع، ولا جنون. ويكون ناتج هذه التسوية المتجمدة هو احتمال الاكتفاء باستمرار ظاهر لما هو حالة "العادية"، التي إذا ما بولغ فيها بدت تصنيفاً مرضياً على نحو ما أشرنا إليه بالتعبير الجديد "فرط العادية" الذي يمكن أن يصل إلى "اضطراب الشخصية النمطية"، الذي من بعض صوره الجمود الديني والأيدولوجي. هذا الحل بالنفي قد يتبادل مع الحل بالسلب، ونادراً مع الحل بالتناقض الناقص (أنظر بعد)، وهو الذي يفسر بعض شذوذ السمات عند بعض المبدعين، خصوصاً في فترات السكون، وهو ما يبدو كأنه: السلامة من الجنون "بالجمود"، على حساب حركية الإبداع.

العلاقة الأهم والأخطر في كل ما ذكرنا هي علاقة التناقض الجدلي حيث يكون الإبداع هو الناتج الولاقي للجدل بين العلميات الأولية والعمليات الثانوية بعمليات ثلثوية تشمل الاثنين معا كما اقترح سلفانو أريني (4)

الجدل الأعلى يتم: ليس بين المعرفة البدائية والمعرفة المفاهيمية، بل بين نقيضين يتكونان في اتجاهين مختلفين (أو في هذه المرحلة: يتحركان إلى اتجاهين مختلفين)، إذا لم تحدث منذ البداية أية تصفية للموقف بالإبعاد (الإبداع البديل) أو بالنفي (إبطال/إحباط الإبداع وإحلال اضطراب الشخصية، أو فرط العادية، محل الجنون) - إذا لم يحدث هذا أو ذلك، فإن هذه الجدلية تطرح نفسها بنشاط متميز في بداية العمليتين، ذلك أنه بمجرد تخلخل الكيان القائم، وقبل التمييز الصريح إلى ما هو إبداع أو جنون (حتى أننا يمكن أن نسمي مرحلة التمييز هنا: مشروع إبداع ومشروع جنون معا)، يكون في التقارب والحركية فرصة لجعل التناقض موجهاً بما يسمح بالتلاحم والتصارع والتناغم واحتمال توجيههما إلى ما يتجاوزهما، أي إلى ما هو "الإبداع الفائق" الذي يحتويهما في كل أعلى. ذلك لأن هذا النوع من الإبداع هو الذي يحتوي الجنون في كليته (إذن: دون التميز إلى جنون)، فهو ليس بديلاً عن الجنون مثل الإبداع البديل (التسامي)، لأنه لا يظهر على حساب جنون كامن متربص، بل هو يستوعب الجنون ويلتحم به ليتخلق معه إلى ما يجاوزهما، وهو - بذلك - يتصف بحركية كلية لا تترك جانباً من الوجود إلا وشاركت فيه، بما في ذلك الوجود الجسدي.

تتميز مسيرة هذا النوع برعب خاص قبيل خوض التجربة، وأيضاً تتميز بإثارة حفز مسؤل عن فعل تلقيها (فحملها الإنسان)، وهو إبداع لا يعقبه هدوء تفرغى يعلن التخلص من توتر ما (كما هو الحال في الإبداع البديل). كل هذا لا يترك المبدع كما هو بعد إبداعه، بل تتمدد ذاته من خلاله إلى درجة يختلف هو بها، وقد يختلف تبعاً لذلك - قليلاً أو كثيراً - إبداعه التالي. مثل هذا المبدع غير معرض - بالقدر نفسه - إلى أن تتبادل نوبات إبداعه مع نوبات جنونه، كما أن فرصة جنونه تتناقص باستمرار، لأن الجنون عنده لم يعد مكبوتاً بإبداع بديل، وإنما هو جزء ظاهر متداخل وملتحم في الإبداع نفسه.

إن هذا الإبداع الفائق هو طفرة نوعية، أحد مظاهرها هو الناتج المبدع، وبقيّة علاماتها التغير الجذري في الوجود الذاتي/الكوني، وهو ما يصف - مثلاً وأساساً - الخبرة الصوفية الحقيقية، التي لا تحتاج بذاتها إلى ناتج معطن عادة.

إن إبداعاً بهذه الخصائص ليس هو المتواتر، وهو حتى إن وجد أحياناً، فقد يصعب أن يتكرر كثيراً،

المبدع هنا. في الإبداع البديل. يستعمل لغة مفهومية ضابطة ومنضبطة بطريقة جميلة ومنسقة وهو يكاد يربح من توقفه عن الإبداع خشية أن يفقد البديل (الجنون)

قد تتبادل خبرة الإبداع البديل هذا مع نوبة جنون عند الشخص نفسه، وبطل احتمال التناوب قائماً ما طلب علاقة الإبدال هي العلاقة الغالبة

علاقة النفي، بحسب التعريف السابق، هي علاقة "تسوياتية" ساكنة وهي تعرض نفسها، أو تفرض نفسها، في المراحل الوسطى لتطویر العمليتين

يكون ناتج هذه التسوية المتجمدة هو احتمال الاكتفاء باستمرار ظاهر لما هو حالة "العادية"، التي إذا ما بولغ فيها بدت تصنيفاً مرضياً على

ناهيك عن أن يستمر طويلا (هذا في مجال ما هو ناتج رمزي مشكل).

تباديل محتملة

قد تتبادل علاقة الجدلية، المسؤولة عن الإبداع الفائق، مع علاقات النفي والإبدال، على نحو يجعل ناتج الإبداع، وصفات المبدع، تتأرجح في مسارها الطولى بحسب ما يتغير عنده من علاقة الإبداع بالجنون في كل آن، وكل تجربة، وكل إبداع. وكما ذكرنا: إن فرصة العلاقة الجدلية - لصعوبتها وخطورتها - إنما تتاح في المراحل الأولى لتمييز النقيضين دون تباعد، ثم نقل فرصها باستمرار مع تباعد المسافة، وطول المسار، واختلاف التوجه، ولكن يظل الاحتمال قائما مهما تضاءلت فرصه، حتى أن الاتجاه إلى علاج الجنون بالإبداع إنما يعنى في عمق جديته احتواء حركية الجنون دون الإسراع بشلها ابتداء، سعيا إلى احتمال ترجيح إمكانية قلب توجه الحركة السالبة إلى اتجاه إيجابي جدلى حتى بعد ظهور الجنون صريحا.

تحويل المسار (والعلاج)

علينا هنا أن نوضح كم هو صعب أن نحول مسار الجنون إلى إبداع، لأنه لا ينبغي أن نتصور أن المسألة هي مجرد تدريب على مهارة مثلما يشاع أحيانا عن العلاج بالشعر، أو أن نرادف بين هذه الجدلية الصعبة وتوجيه المرضى لتفريغ بعض توتراتهم من خلال نشاط فنى "ما"، لأن المقصود هنا هو محاولة تحويل العلاقة الأساسية بين الحالتين، بما يخلق من بعض الجنون ما هو "ضده/به/معه". وهذا شيء مازال يقع في دائرة الأمل أكثر منه في ملموس الواقع. إن تحقيق هذا الأمل يتطلب منا أن نحاول أن نتراجع بالتناثر السائد المتماذى إلى مرحلة أسبق، هي أقرب إلى مشروع الإبداع القريب من مشروع الجنون، فنوفر فرصة أرحب لتنشيط جدلية حقيقية تستوعب الجنون، فيكون الشفاء ليس باختفاء الجنون، وإنما باحتوائه، على نحو يشمل وقاية حقيقية مهما كانت نسبية، إلا أنها نوعية.

عن الإبداع الفائق:

الإبداع الفائق إذ يتداخل مع الجنون إنما يستولى في الحقيقية على جزء منه كما أشرنا، بحيث لا يعود قادرا على الانفصال عنه بعد أن ذاب في كلية جديدة، وهذا ما يجعلنا ننتبين بعض ملامح الجنون من خلال هذا النوع من الإبداع، وإن كانت هذه الملامح لا تظهر عادة كما هي، بل تبدو محورة ونابضة في جوف كلية الفعل/ الناتج الإبداعي، بحيث يكون من المحال تمييزها منفردة بوصفها جنونا، كما يكون من المحال في الوقت نفسه إغفالها بوصفها مجرد ترجمة من لغة معرفية بدائية إلى لغة مفاهيمية محكمة، إذ لا بد أن يتداخل تيارا المستويين المعرفيين تداخلا محكما، يرتقى بهما معا.

وأخيرا فإن هذا الإبداع الفائق هو فعل في ذاته، وليس ترجمة لفعل أو وعد بفعل، أو حفز على القيام بفعل، لأنه تغير حيوى (بيولوجى) جار، أحد وجوهه - فحسب - هو الناتج الإبداعي المعلن.

نظرا لشدة تكثيف هذا النوع من الإبداع، فإنه ينبغي أن نفتتح بأنه نوع نادر، وأنه مواكب بدرجة ما لنوع المجتمع الذى يسمح به/يفرزه، ومتناسب مع درجة حيويته، لذلك لا ينبغي أن نبالغ في أن نجعله مطلباً في ذاته، في ظروف لا تسمح بإفرازه، كما لا ينبغي أن يجب ما سواه (الإبداع البديل مثلا)، فمسيرة الإنسان تحتاج إلى كل التوافق والتباديل الممكنة طول الوقت. ثم إن جرعة متوازنة من هذا الإبداع الفائق، دقيقة ومتوازنة، هي جارية أبدا بعيدا عن بؤرة الوعي، وهي دائمة المعاودة مادامت الحياة، وهي المسؤولة في الواقع عن نمو النوع وتطوره في طفرات على المدى الطويل.

الإبداع المجهض

هناك إبداع آخر قد يختلط مع هذا النوع الفائق، حتى ليخيل إلينا - من بعيد - أنه هو، غير أن هذا

نحو ما أشرنا إليه بالتعبير الجديد "فرط العادية" الذى يمكن أن يصل إلى "اضطراب الشخصية النمطى"، الذى من بعض صورته الجمود الدينى والأيدىولوجى

الجدل الأعلى يتم: ليس بين المعرفة البدائية والمعرفة المفاهيمية، بل بين نقيضين يتكفونان فى اتجاهين مختلفين

أنه بمجرد تخلخل الكيان القائم، وقبل التمييز الصريح إلى ما هو إبداع أو جنون يكون فى التقارب والحركة فرصة لجعل التناقض موجها بما يسمع بالتلاحم والتصارع والتناغم واحتمال توجيههما إلى ما يتجاوزهما، أى إلى ما هو "الإبداع الفائق" الذى يحتويهما فى كلى أعلى

هذا النوع من الإبداع هو الذى يحتوي الجنون فى كليته، فهو ليس بديلا عن الجنون مثل الإبداع البديل (التسامي)، لأنه لا يظهر على حساب جنون كامن مترصد

إن هذا الإبداع الفائق هو طفرة نوعية، أحد مظاهرها هو الناتج المبدع، وبغية علاماتها التغير الجذرى فى الوجود الذاتى/الكونى

قد تتبادل علاقة الجدلية، المسنولة عن الإبداع الفائق، مع علاقة النهى والإبدال، على نحو يجعل ناتج الإبداع، وصفات المبدع، تتأرجح في مسارها الطولى بحسب ما يتغير محده من علاقة الإبداع بالجنون في كل آن، وكل تجربة، وكل إبداع

علينا هنا أن نوضح كم هو صعب أن نحول مسار الجنون إلى إبداع، لأنه لا ينبغي أن نتصور أن المسألة هي مجرد تدريب على ممارسة مثلما يشاع أحيانا عن العلاج بالشعر

الإبداع الفائق إذ يتداخل مع الجنون إنما يستولى في الحقيقية على جزء منه كما أشرنا، بحيث لا يعود قادرا على الانفصال عنه بعد أن ذاب في كلية جديدة

أخيرا فإن هذا الإبداع الفائق هو فعل في ذاته، وليس ترجمة لفعل أو عمد بفعل، أو حفز على القيام بفعل، لأنه تغير حيوي (بيولوجي) جار، أحد وجوهه - فحسب - هو الناتج الإبداعي المعلن

نظرا لشدة تكثيف هذا النوع من الإبداع، فإنه ينبغي أن نفتنح بأنه نوع نادر، وأنه مواكب بدرجة ما لنوع المجتمع الذي يسمع به/يفرزه، ومتناسب مع درجة حيويته

النوع هو نشاط نافر، يفتقر إلى التناغم، والتواكب، والخط المحوري، وهو يبدو فضفاضاً هشا، بحيث يمكن فصل الجزء منه - أي جزء - عن الكل الممتد (لا المتلاحم). وهذا الإبداع المتراحم، حتى التصادم والمختبط، هو نتيجة إجهاض لجدلية الجنون والإبداع معا، وناتج هذا الاجهاض هو ما يمكن أن يسمى الإبداع الناقص، أو الإبداع المجهض، أو الإبداع المبتسر، بمعنى أن هذا الإبداع هو نوع من إخراج المادة المستثارة والمفككة، وهي بعد في مراحلها الوسطى، متداخلة مع المفاهيم في بداية جدلية لم تكتمل، إذ لم يتحملها صاحبها حتى تتضح، "فتخلص" منها كما هي، ناقصة كما بيّننا. ثمة صعوبة مبدئية في التمييز بين هذين النوعين (الفائق، والمبتسر)، حتى أن الأمر قد يحتاج إلى دراسة معالم أخرى إلى جانب الناتج الإبداعي، تحفز الناقد على مواصلة جهده في اتجاه البحث عن التمحور، لاحتمال الكشف عن الكلية الغائبة الضرورية لناتج الجدلية الإيجابي، وحتى يغامر الناقد ببذل مثل هذا الجهد، فقد يحتاج إلى مزيد من التعرف على المبدع في إنتاجه المفاهيمي المصقول (5)، حتى يطمئن بشكل ما إلى أن المحاولة جادة ومجاوزه، وليست هروبا متعجلا، كذلك فإن النظر في أثر الإبداع على المبدع وإنتاجه اللاحق قد يعين الناقد في تحديد مدى إيجابية التوجه.

على أن ثم شيئا آخر قد لا يحتاج إلا إلى مجرد إطالة محذرة عابرة، لاحتمال اختلاطه عند العامة لأول وهلة بالإبداع الفائق والإبداع الناقص، وهو ذلك "الشيء" الذي ينتج من تصنع تنشيط وسائل معرفية أولية بدائية (دون تنشيط حقيقي، أو مغامرة... إلخ)، فيقم المزيف ما زينه إقحاما وسط المستوى المفاهيمي، حتى تضرب المفاهيم وتشوه بلا إضافة ولا إبداع، على نحو يستحق أن نقترح له اسما هو إضافيا "الإبداع الزائف".

هذا التدرج في مستويات الإبداع وتصنيفاته قد يذكرنا كيف ينبغي ألا يطلق الحديث على علته - هكذا - في المقارنة بين "الإبداع" (أي إبداع) و"الجنون" (كل جنون)، وكأن الإبداع واحد، والجنون كذلك. وسوف نقوم بعرض هذه المقابلات في صورة مختصرة مجدولة (الملحق الثاني)، نظرا لأن أي استطراد في تفصيلها هو خارج عن نطاق هذه الدراسة.

هوامش

[1] - هذا هو الكتاب الثاني باسم "جدلية الجنون والإبداع" نشرت صورته الأولى في مجلة فصول - المجلد السادس - العدد الرابع 1986 ص(58/30) وقد تم تحديثها دون مساس بجوهرها، وهو الفصل الثاني من كتاب "حركية الوجود وتجليات الإبداع" الصادر من المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، والكتاب يوجد في طبعته الأولى 2007 بمكتبة الأنجلو المصرية، وفي منفذ مستشفى دار المقطم للصحّة النفسية شارع 10، وفي مؤسسة الرخاوي للتدريب والبحوث: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا حاليا بموقع المؤلف، وهذا هو الرابط www.rakhawy.net ، وهذه هي الطبعة الثانية بعد أن قُسم إلى ثلاث كتب أضيف إليها ما جدّ للكاتب بين الطبعتين، وهذا الكتاب هو الثاني.

[2] - وبصفة عامة نوضح هنا أهم الظروف التي يحدث فيها مثل هذا البسط الجسيم - المرض، وهي:

(أ) أن يحمل الفرد حفزا وراثيا لحركية التعتعة الجسمية والبسط الأعظم - وهذا يتبين من تاريخ عائلته الوراثي، سواء ما يتعلق بالإبداع أو الجنون، إذ عادة ما يتواتر في العائلة الواحدة تاريخ كل من الظاهرتين بصورة أو بأخرى. ويمكن أن نرجع هذا الاستعداد الوراثي إلى كم قلق المعلومات ونزقها، مما يشير إلى أن تلك المعلومات لم تُتمثل تماما، في الجيل السابق، فانقلت

إلى الفرد الحالى عن طريق الذاكرة الجينية فى قطاع بشرى بذاته، يحمل جرعة زائدة من هذه المعلومات غير المتمثلة. (ب) أن تعجز التعتة الدورية (الحلم النوم اليقظة)، (أى = التفكيك، التعزيز/الاستيعاب) عن أن تقسم جرعات البسط إلى جرعات مجزأة يمكن استيعابها يوميا أولا بأول، دون حاجة إلى بسط أعظم. (ج) أن تتجمع- بالإضافة- معلومات جديدة غير متمثلة (غير=) معاشية كيانيا لدرجة الهضم فاللتحام بالكل النامي) حتى تتزاحم وتضغط مع المعلومات الموروثة غير المتمثلة على نحو ينتج عنه الحفز الشديد لهذا التخلخل البسطى الجسمي. (د) أن تحين فرصة التخلخل حين يختل توازن "الضبط/الضغط" (الضبط من الخارج ومن الداخل معاً، والضغط من الداخل مثاراً بالخارج أحياناً)، بما يسمح بإطلاق الكامن الضاغط فى وساد الوعي القائم نفسه. حتى يختل التوازن تلقائياً أو دورياً، أو نتيجة لظروف خارجية- كما ذكرنا.

[3]- لم أخرج فى المتن بالتفصيل إلى مستوى الجنون البديل (لكل من الإبداع والجنون المتفسخ/الفصام- معاً) لما قد يجرنا ذلك إلى تفاصيل مهنية تخصصية، قد تبعدنا عن محور هذه الدراسة الأساسى، فأكتفى هنا فى الهامش- لمن يهمله الأمر- أن أحدد أن ثمة أنواعاً أخرى من الجنون قد تبدو كأنها متماسكة الظاهر، راسخة الظهور، مسلسلة المنطق المرضى أو هى تبدو شاققة تيار الوعي، أو مفرطة فى جرعة التجميد المضاد ضد التهديد بظهور التناثر. وكل هذه الأنواع عادة إما تظهر بهدف إيجاد مخرج ولو مؤقت يوقف ضغط التناثر وجذب الانسحاب النكوصى لا مجال لتفصيله حتى فى الهامش.

[4]- Silvano Arieti, S. (1976), Creativity. The Magic Synthesis. p12.-13, Basic Books, Inc., New York, Publishers

[5] - سبق أن اشرت كيف صبرت على أدونيس شاعراً، من خلال احترامى لدراساته النقدية، خاصة فى "الثابت والمتحول".

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD250819.pdf

مؤسسة العلوم النفسية العربية

جائزة " قتيبة شلبي " لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2019

تتشرفه شبكة العلوم النفسية العربية بإطلاق اسمه:

" البروفيسور قتيبة شلبي "

(الطب النفساني، العراق / أمريكا)

على جائزتها للعام 2019 المخصصة للأعمال العلمية فى الطب النفساني

تقديراً لمسيرته العلمية المميزة

واعترافاً لما قدمه من خدمات جليلة للطب النفساني الشرعي على المستوى العالمي

دعوة لتقديم الترشيحات للجائزة

الترشح للجائزة من بداية من 01 جانفي 2019 الى 30 نوفمبر 2019

شروط الترشح

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2019/APNprize2019.pdf

ارتباطات ذات صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsynet.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>

الإبداع الفائق، دقيقة ومتوازنة، هى جارية أبدا بعيداً عن بؤرة الوعي

أن يحمل الفرد حفزاً وراثياً لحركية التعتة الجسمية والبسط الأعظم- وهذا يتبين من تاريخ عائلته الوراثي، سواء مايتعلق بالإبداع أو الجنون، إذ مادة مايتواتر هى العائلة الواحدة تاريخ كل من الظاهرتين بصورة أو بأخرى

يمكن أن نرجع هذا الاستعداد الوراثي إلى كم فلق المعلومات ونزقها، مما يشير إلى أن تلك المعلومات لم تُتمثل تماماً، فى الجيل السابق، فانتقلت إلى الفرد الحالى عن طريق الذاكرة الجينية فى قطاع بشرى بذاته